أقصوصة شعرية :

الحســـــناء والبلبل

للأستاذ إبراهيم محمـــــد نجا

(هذه الأقصوصة الشعرية تصور ما قد ينشأ بين الإنسان وغير الإنسان من عواطف نبيلة ، ومشاعر سامية . وهي مهداة إلى الذين يقدسون معـــانى الحب والوفاء في هذا الزمان)

هي حســـناء في ربيع الحياة ... تتراءى كأجمل الذكريات
حسنها قبلة العيون جميعاً ... وسواد الأحـلام والأمنيات
وصباها أرق من طلعـة الفجـ ... ـر ، وأبهى من روعة الزهرات
وعلى وجهها الجميل من الفـكـ ... ـر سمات أنعم بها من سمـات
هي شوق إلى معانقـة المجـ ... ـهول يبدو في حيرة النظرات
ومعان عميقة لست أدريـ ... ـها ، ولـكن أحسها في حياتي

عندها بلبل يغنى غنـــاه ... يجعل القلب هائماً حيث شاء
ويثير الأحـلام في كل نفس ... تبصر الحلم كوكباً وضاء
كلما زادها من الشـدو والأنـ ... ـغام زادته روحها إصغاء
وهي مفتونة تكاد تراه ... عاشقاً يملأ الحيـــاة بهاء
فتراها تضمه إن أتاها ... وإذا غاب أتبعته النـــداء

وأماني النفوس تبدو رموزاً ... حينما تستكن فيها حيـــاء

وجدته في بيـدر مهجور ... يتغشـاه مثل صمت القبور
وهو من جرحه يئن أنيناً ... يتراءى على الثرى في فتور
فانثنت نحوه ، وخفت إليه ... وانحنت فوقه بقلب كسير
وأست جرحه ، وعادت به تسـ ... ـعى إلى بيتها الجميل الصغير
ثم جاءت له بحب وفير ... مثلمـــا يشتهي ، وماء نمير
وأقامت له هنـالك عُشّـا ... مهـدته له بزهر نضـير

أتراه لما تقوى وطـارا ... ترك العش خاوياً وتوارى ؟
كيف ينسى من أنقذته وقد كا ... ن يرى الموت ليله والنهارا ؟
إن أشاع الدمار والعهد إنس ... فمن الطير ما يصون الذمارا
كان يمضي كما يشاء قريباً ... أو بعيداً يسـابق الأطيارا
ثم تدعوه بالصـــفير فيهفو ... ثائر الشوق لا يطيق انتظاراً
كغريب نأى الديار دعتـه ... فمضى مسرعاً يؤم الديارا

علمته الغنـــاء والألحـانا ... فشأى الطير منطقاً وبيانا
فإذا ما سمعتـــه يتغنى ... خلتـه في غنـائه إنسانا
وإذا ما رأيتـه وهو يهـفو ... بجناحيه حولها نشوانا
خلتـه عاشقاً يطوف بمعشو ... ق يغنيـه حبـه ألحـانا
يا له من هوى يؤلف ما بي ... ن الغريبين خلقة ولسانا
يا لهذا الغـــناء ترسله الرو ... ح ، فيلقى من إلفها ترجمانا

حين يأتي المساء كان يغنى ... فيثير المنى بحلو التغنى
فتنـاغى شقيقها كل نفس ... وتناجى رفيقها كل عين
وهي مسحورة تضم من الشو ... ق فراش الهوى ، ومهد التثنى
فإذا ما انتهى من الشدو ونامت ... وبأعماقها صـدى كل لحن
ثم راحت تهيم في عالم السحـ ... ـر ، ودنيا الهوى ، وأفق التمنى
حيث تحيا كما تشـاء الأماني ... حين يسمو بها الربيع المغنى

وإذا ما الصباح هلّ عليها ... وهفـا قلبه الرقيق إليهـا
فاستفاقت من حلمها غير ذكرى ... لم تزل تستكن في ناظريها
أرهفت سمعها فطارت من البلـ ... ـبل أنغـامه إلى مسمعيها
فإذا قلبهـا يحركه الشو ... ق فيذرى الدموع من مقلتيها
وإذا ما استراح قامت إليه ... وهي مسحورة تمـد يديهـا
فغـذته بالحبّ من راحتيها ... وسقته بالماء من شفتيها

داخل بستان في الحرم الداني ، فقال لو وسعته كان حسناً وأمر الدنيا فاني ، فقلت هذا في خاطري معنى يبدى لعياني ، فيسر الله في مطلبه تلك الأيام ، وتم على وجه حسن جميل وأكمل نظام ، وكان المجمع التحتاني في دارنا تم ، والمولى جل وعلا طم أنعامه علينا وعم ، ولما انضم إلينا زكريا بن الحاج يحيي نسيبة (١) ، وجماعات أخر من أحباب منحوا فتحاً يملأ العيبة ، حصلت منهم مساعدة جسيمة في أمر العمارة الحرمية . وبعد ما كمل عام (١١٤٢ هـ) وتمت أيامه ولياليه ذات المدد المكين .

(يتبع) أحمد سامح الخالدي

(١) عائلة مقدسية خدرجية ، بيدها حتى اليوم مفاتيح كنيسة القيامة ، خرج منها علماء وقضاة .

هكذا ظلت الحياة زماناً تتجلى سعادة وأمانا
وتُمد الحسناء بالحب والشو ق ، فتفتنُّ فى الأمانى افتتانا
غير أن الزمان من شأنه الكيـ ـد ومن ذا الذى يكيد الزمانا ؟
والليالى إلى المودة آنا والليالى إلى العداوة آنا
وأرى العمر ساحة ينبت الدهـ ـر عليها نباتـه ألوانا
فهو إن شاء ينبت الفرحة الكبـ ـرى ، وإن شاء ينبت الأحزانا

فى مساء من أمسيات الشتاء تدرك النفس فيه معنى الفناء
وتنوح الرياح نوح الثكالى فتضج الجبال بالأصداء !
أخذ البلبل الجميـل يغنى أغنيات تهيم فى الظلماء
وإذا صوته يسيل دموعاً فكأن الغناء رجع بكاء
أتراه يُحسن خطو المنايا حين تسرى بركبها فى الماء ؟
أتراه يرى الحياة تهاوى فى وهاد سحيقة الأرجاء ؟

وأتاها الكرى مثير الخيال فانتشت روحها بخمر الليالى
فرأت فى منامها أن نسراً محكم الخلق ، مدمج الأوصال
أبصر البلبـل العزيز يغنى وهو يمضى محلقاً فى الأعالى
فانثنى نحوه ، فأنشب فيـه مخلباً حده كحد النصال
ومضى مصعداً ، وللبلبل الشا دى صريخ يغنى كطيف الخيال
فجرت خلفـه تولول حتى أبصرته يغيب خلف الجبال

وتراءى الصباح جهم المحيا تعصف الريح فيه عصفاً قويا
فاستفاقت من نومها وهى تشكو ألماً كامناً ، وحزناً خفيا
أرهفت سمعها لتسمع منه نغمة حلوة ولحناً شجيا
لم تجد صوته ، فهبت من الرو ع تنادى من ليس عنها قصيا
فإذا البلبـل العزيز الغنى جعل الموت صمتـه أبديّا
وجمت ساعة ، وفى القلب منها حُرقات تطوى الجوانح طيا

وجرى دمعها فأنت أنيناً يجعل الموت خاشعاً مستكينا
ثم راحت تضمه فى حنان وتنـادى به نداء حزينا :
أيهـا البلبل العزيز أما تبـ ـصر قلبى يسيل دمعاً سخينا ؟
كنت فى هذه الحياة طليقاً كيف أمسيت للفناء رهينا ؟
سوف تبقى معى هنا أبد الدهـ ـر ، وإن كنت تستثير الحنينا
سوف تحيا ذكراك فى قلبى البا كى ، وإن كنت فى التراب دفينا

لم يا بلبلى ارتضيت الفراقا فشببت الحنين والأشواقا ؟
ما لهذا الظلام يغمر نفسى فيبيد الضياء والإشراقا ؟
ما غناء الحياة من غير إلف يجعل القلب واثباً خفاقا ؟
سوف أبكيك طيلة العمر حتى يأتى الموت مسرعاً سباقا
سوف أمضى مع الحياة بقلب ليس يبغى من الهموم انطلاقا
كلما مرت الليالى عليـه لم تزده إلا هوى واشتياقا

دفنته — وليس ذاك عجيباً — حيث قضّى حياته تطريبا
كيف ترضى بأن يكون بعيداً ؟ كيف ترضى بأن يكون غريبا ؟
فإذا أقبل المساء تراها تؤثر الصمت أو توالى النحيبا
وترى طيفه يغنى مُهيباً فإذا قلبها ينوح عجيبا !
وإذا أقبل الصباح تراها تسأل الليل أن يعود قريبا
لترى حولها من الصمت والوحـ ـشة ما يشبه الفناء الرهيبا

لم تزل هكذا زماناً طويلاً وهى تزداد من أساها نحولا
وتنادى الفناء حتى أتاها عاصف الداء من لدنه رسولا
ثم جاء الفناء يسعى رهيباً فطواها ، وسار عنها مجولا
فثوت فى مكانها حيث كانت تسمع البلبل العزيز الجميلا
وتلاقى الروحان بعد افتراق فى مكان لم يزل مجهولا
ومضى عنهما الزمان ، فصارا قصة للوفاء ، تُروى فصولا

إبراهيم محمد نجا

صلاة

للأديب رشيد ياسين

رب أنزل على ضميرى السكينه وقنى هاجسات نفسى اللعينه
واطوما تنشر الرغائب من جور وما يخلق الهوى من ضغينه
وأر لى دربى ولا تنس عبداً تائهاً فى الظلام يقفو ظنونه
واغتفر عثرتى فما كنت شيئاً غير ماشئت — خالقى — أن أكونه
أنا ما كنت غير رسم شقى أنت ظللت بالهوان جبينه !
طينة صورت — كما شئت — قلباً مستبداً ، وعزمة موهونه ..
أعلى ما ترت يداك يقاضى عدلك السرمدى تلك الطينه ؟!

(بغداد) رشيد ياسين